

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (٦-١) : قصة سفانة بنت حاتم الطائي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٩-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد
الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى
جنات القريات .

القصة :

أعزائي المشاهدين ... أخوتي المؤمنين ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قصة سفانة بنت حاتم الطائي مع النبي الكريم :

قصة لعلها ترفع معنويات المسلمين

النبي عليه الصلاة والسلام عقب بعض
الغزوات وقف ليستعرض الأسرى فوقفت
امرأة أسيرة وقالت : يا رسول الله ، هلك
الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي من
الله عليك ، وخلّ عني ، ولا تشمت بي
أحياء العرب ، فإن أبي كان سيد قومي
، يفك العاني ، ويعفو عن الجاني ،
ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج
عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي



السلام ، ويحمل الكلّ (الضعيف) ، ويعين على نوائب الدهر ، وما آتاه أحد بحاجة فرده خائباً ، أنا
بنت حاتم الطائي ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا جارية ، هذه صفات المؤمنين حقاً ، ثم قال : خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم

الأخلاق))

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام ، دققوا في هذا الحديث :

((ارحموا عزيز قوم ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع بين جهال))

[ذكر هذه القصة ابن هشام في سيرته ، والطبري في تاريخه]

فاستأذنته بالدعاء ، وقالت : أصاب الله ببرك مواعه ، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها .

خصال النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة ، نتابع القصة ورجعت إلى أهلها ، وقالت لأخيها عدي بن حاتم : ائت هذا الرجل ، فإني قد رأيت هدياً ، ورأياً يغلب أهل الغلبة . أي الأخت نصحت أخاها أن يلتقي بالنبي عليه الصلاة والسلام وكان أخوها ملكاً ورث الملك عن أبيه حاتم طي .



هكذا قالت سفانة بنت حاتم طي : رأيت فيه خصالاً تعجبني ، رأيتُه يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإن يكن نبياً فليسابق فضله ، وإن يكن ملكاً فلا تزال في عزِّ ملكه ، قيل وأسلمت .

هذه المرأة الفصيحة الحصيصة بنت حاتم طي ، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قدر مشاعرها وقدر أبائها وفك أسرها وقال :

((ارحموا عزيز قوم ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع بين جهال))

وكيف أنه أطلقها ، وحملها ما تحتاج إليه ، وأكرمها ، بل وبالغ في إكرامها ، فلما وصلت إلى أهلها والتقت بأخيها عدي بن حاتم طي نصحته أن يلتقي بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وكيف تحدثت عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام ، كيف أنه يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، ثم توقعته أنه نبي كريم فإن لم يكن نبياً كريماً فهو ملك ، ففي إحدى الحالتين ينتفع أخوها من اللقاء مع هذا النبي عليه الصلاة والسلام .

قدوم عدي بن حاتم الطائي على النبي الكريم و التساؤل الذي حكّ في نفسه :

استجاب لها أخوها ، وقدم إلى المدينة وهو يظن أنه سيلقى ملكاً فقال :

دخلت على محمد صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فسلمت عليه فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام وانطلق بي إلى بيته ، وهذا إكرام بالغ أن تستضيف الإنسان في بيتك .



فقام وانطلق بي إلى بيته ، يقول عدي بن حاتم فوالله إنه لعامد بي إليه ، يعني نحن في طريقنا إلى البيت ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة في الطريق فاستوقفته

، فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها ، هو بين أن يظن أن هذا النبي الكريم نبي مرسل وبين أنه يظن أنه ملك ، قال : ثم مضى بي حتى دخل بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إليّ فقال : اجلس على هذه قلت بل أنت ، قال بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض ، عجيب هذا التواضع هو سيد الخلق وحبيب الحق ، بيته متواضع ، ليس في بيته من أثاث إلا هذه الوسادة ، وأخذه إلى بيته ، وفي الطريق استوقفته امرأة ضعيفة فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها ، هو في نفسه قال والله ليس هذا أمر ملك .

الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده بشرط أن يطبق منهج الله ليستحق وعود الله :

الآن الشاهد من هذه القصة هذه المقولات الثلاث التي قالها النبي عليه الصلاة والسلام ، قال له : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم ، المسلمون أفقر شعوب العالم الآن ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ، حينما ترى المجتمع الإسلامي فقير ، يعاني مما يعاني وهو معه حق السماء ، معه الحق الصراح ، هناك من يستكف أن يقبل هذا الدين حينما يرى المسلمين في تخلف وفي فقر وما إلى ذلك .



قال له : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، وقد حصل هذا في عهد عمر بن عبد العزيز . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، الاحتمال الثاني

ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، العالم كله الآن يُحارب المسلمين في كل بقاع الأرض ، ما هذا العداة الدفين ؟ ما هذا الحقد الذي لا يوصف ؟ ماذا فعل المسلمون ؟

ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها فتزور هذا البيت لا تخاف ، أمن مستتب ، والأمور مريحة ، والخيرات وفيرة ، وبلدة طيبة ، ورب كريم ، والله سبحانه وتعالى خلقنا ليسعدنا لكن نحن حينما لا نطبق منهج الله عز وجل هذه الوعود الرائعة في القرآن لا نستحقها ، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(سورة النور الآية : ٥٥)

لماذا هذه الوعود لم تتحقق ؟ لأن الله عز وجل يقول

﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾

فإذا ترك المسلمون عبادة الله لا أعني أنهم تركوا الصلاة ، لكن المنهج الإلهي منهج واسع جداً كله أفعال ولا تفعل ، فإذا تنكر المسلمون لمنهج ربهم ، واكتفوا بالإطار الخارجي لهذا الدين ، يعني هان أمر الله عليهم التفصيلي فهانوا على الله .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة ، ينبغي أن ننتبه إلى أن الإنسان حينما يقرأ القرآن الكريم يجد أن وعود الله عز وجل رائعة :

﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(سورة الصافات)

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(سورة غافر الآية : ٥١)

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

(سورة النساء)

ما الذي حصل ؟ ثم يقول النبي عليه الصلاة والسلام : ولعله إنما يمنعك من



التصبر الذي تصبوا إليه أنفسنا له ثمن

الدخول في هذا الدين أنك ترى المُلْك والسلطان في غيرهم ، فو الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ، وأن كنوز كسرى قد صارت لهم .
هذه الوعود أيها الأخوة ، وعود خالق السماوات والأرض والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين ، ولكن هذا النصر الذي نتوقعه ونرجوه وتصبو أنفسنا إليه له ثمن ، ثمنه واضح قال تعالى :

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ١٠)

النصر بيد الله وحده ما ثمنه ؟ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾

(سورة محمد الآية : ٧)

من اصطح مع الله و أدى واجبه تجاه هذا الدين العظيم استحق نصر الله تعالى :



نتابع القصة يقول عدي بن حاتم فأسلمت ، ولقد عمّر عدي حتى رأى بنفسه كيف تحققت كل بشارات النبي عليه الصلاة والسلام ، يعني أنا أقول إله الصحابة الذي نصرهم إلهنا ، والدين هو هو ، والنبي هو هو ، والقرآن هو هو ، والكرة في ملعبنا وحينما نعقد العزم على أن نصطح مع الله ، وعلى أن نؤدي واجباتنا تجاه هذا الدين العظيم ،

وعلى أن نعبد الله العباداة التي أرادها فالنصر محقق وآت إن شاء الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين